

أوراق سياسية

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies



برنامج الابتعاث في السعودية التأثيرات الثقافية والعلمية في المجتمع السعودي



إعداد
أحمد الصبَّاغ



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

المقدمة

كان قرار المملكة العربية السعودية لابتعاث أبنائها إلى الخارج مبكراً؛ إذ يعود إلى عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، الذي اتخذ خطوة مهمة للغاية لتطوير المملكة التي كانت في حينها دولة ناشئة تريد أن تكتسب مقدرات قوية بسرعة مهولة، وعُد الأمر بمنزلة نظرة استراتيجية مهمة تستهدف الوصول إلى مصادر القوة والطاقة البشرية والعقول المبتكرة التي ستدعم الوطن في تطوير قدراته، وفي مختلف الاتجاهات التنموية؛ في مجال الصحة أو الاقتصاد أو الزراعة، أو العلوم والمعارف الجديدة التي هي مفاتيح التطور والازدهار العلمي والصناعي والمجتمعي.

أتاحت الحكومة السعودية الفرصة للابتعاث والدراسة في خارج البلاد للجنسين منذ بدايات التعليم لمن تنطبق عليهم شروط الابتعاث، وأطلقت في السنوات الأخيرة (برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي) الذي يُعد - وفقاً لتوصيف القائمين عليه - البرنامج الأضخم في تاريخ الابتعاث بالمنطقة، وتاريخ الابتعاث التعليمي العالمي بجوار الهند والصين؛ حيث تبلغ ميزانيته أزيد من عشرة مليارات ريال، وقد بلغت أعداد المبتعثين من خلاله عشرات الآلاف من الطلبة، منهم 6000 طالب وطالبة حُصِّصت بعثاتهم لجهات حكومية معينة، ويهدف هذا البرنامج لتحقيق نوعية متميزة من مخرجات التعليم العالي العالمية في تخصصات علمية وتطبيقية مرتبطة باحتياجات التنمية.

وكان الابتعاث موجهاً إلى الجامعات المرموقة في عدد من الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا، ونيوزلندا، وفرنسا، واليابان، والصين، والهند، وسنغافورة، وكوريا الجنوبية، للحصول على درجات البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، والزمالة في الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة والتمريض والهندسة والحاسب الآلي والمحاسبة والقانون¹.

¹ محمد بن معجب الحامد، فاطمة بنت بكر جمجوم، التعليم العالي للفتاة ومواءمته لسوق العمل في المملكة العربية السعودية، ورقة مقدمة للمؤتمر الإقليمي العربي (نحو فضاء عربي للتعليم العالي.. التحديات العالمية والمسؤوليات المجتمعية)، القاهرة، 2009، ص 865.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على واقع برنامج الابتعاث في المملكة، وسياقات التأثير الذي أحدثه في المستوى الاجتماعي والثقافي؛ من خلال تحليل تأثير برامج الابتعاث وسفر المبتعثين إلى الخارج واحتكاكهم بواقع أكاديمي وثقافي واجتماعي مغاير تماماً للواقع والبيئة السعودية، في الشباب السعودي وأفكاره. ولكونه بوابة مهمة في مخرجات العلاقات السعودية الخارجية ستتناول الدراسة أبعاد العلاقات السعودية الخارجية مع أبرز دول الابتعاث، وتأثيرها في سير البرنامج، كما تحاول الدراسة الكشف عن حجم الموارد البشرية المنخرطة في البرنامج، وكذلك حجم الموارد المالية المخصصة لبرنامج الابتعاث. اقتصادياً أيضاً تتناول الدراسة تحليل التأثيرات والتحول المصاحب والمنعكس على سوق العمل والبيئة الأكاديمية.

أولاً: خلفية تاريخية لبرنامج الابتعاث السعودي

بعد مدة قصيرة من تأسيس الملك عبد العزيز آل سعود للمملكة العربية السعودية، وبعد أن دخلت المملكة مرحلة اقتصادية جديدة في البلاد اعتمدت فيها على عائدات النفط، اتجهت إلى منح التنمية دفعة قوية نحو التقدم والنهضة، مركزة في تلك الخطوة على النهوض بالمواطن السعودي بإلحاقه بالتعليم والارتقاء بفكره وشخصيته في مختلف مجالات المعرفة؛ الدينية والإنسانية والعلمية، بوصفه الثروة الحقيقية للوطن التي لا تتضب. واستهلّت المرحلة الجديدة بموافقة الملك على إنشاء المدارس في مختلف مناطق المملكة، واستقطاب الخبرات العربية للتدريس فيها، فضلاً عن إطلاق الابتعاث الخارجي إلى الدول العربية عام 1927، تطور فيما بعد إلى الاستفادة من بقية دول العالم مثل أوروبا وأمريكا².

فقد صدر قرار من مجلس الشورى - بناء على توجيه الملك - بإرسال أربعة عشر طالباً إلى مصر لإتمام دراستهم الجامعية في مجال القضاء الشرعي، والتعليم الفني، والزراعة، والطب، والتدريس. وفي عام 1936 أصدر الملك أمره بتأسيس مدرسة (تحضير البعثات)، وحملت المدرسة هذا الاسم للدلالة على الغاية من إنشائها، بصفتها أول مدرسة ثانوية تؤسس على النظام العصري الحديث الذي يُمهد لطلابها الالتحاق بالكليات الجامعية في مجالات

² قصة ابتعاث السعوديين إلى أميركا من الألف إلى الياء، العربية نت، (3 سبتمبر/أيلول 2015)، تاريخ زيارة الرابط 20 يوليو/تموز 2018: <http://soo.gd/NSPr>

الهندسة، والطب، والآداب، والتربية. وفي السنة نفسها أرسلت الدفعة الثانية من الطلاب السعوديين، وعددهم 10 طلاب، لدراسة العلوم الشرعية والعربية وأصول التربية والتعليم في مصر، وفي عام 1942 أرسلت الدفعة الثالثة، ثم المجموعة الرابعة في العام 1944، ثم توالى البعثات بعد زيادة موارد الدولة عقب تقجر الثروة النفطية التي أعطت مسيرة التنمية بالمملكة دفعة هائلة³.

وقد اعتمدت السعودية على علاقاتها بأول دولة في الجوار وهي مصر لوضع نواة لمشروع الابتعاث، ويبدو أن اختيار مصر تحديداً في هذه المرحلة له عدة أسباب؛ أهمها العلاقة القوية التي كانت تربط المملكة العربية السعودية بالمملكة المصرية حينها، كذلك سبق الدولة المصرية في الاهتمام المبكر بالتعليم، إذ سبقت به دول المنطقة عقوداً، منذ حركة الابتعاث العلمية التي بدأها محمد علي في عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر، مروراً بتأسيسه لمجموعة من المدارس العلمية لتعليم الهندسة والطب والتمريض وغيرها، ثم شهدت مصر فضلاً عن وجود الأزهر (الذي يعد أول جامعة دينية في المنطقة العربية إضافة إلى مسجد الزيتونة في تونس) تأسيس أول جامعة أهلية عرفت بجامعة الملك فؤاد (عرفت لاحقاً بجامعة القاهرة) في بداية القرن العشرين، ثم توالى حركة الابتعاث العلمية المصرية إلى فرنسا وإنجلترا، وقبلهما إيطاليا، لتشهد مصر في النصف الأول من القرن العشرين حراكاً ثقافياً واجتماعياً وتعليمياً كان له أثره في تطور الحياة العلمية والثقافية في مصر حينها، وبالتالي كانت الجامعات والمدارس المصرية طريقاً لمرور عدد ضخم من المبتعثين العرب.

ثم بدأت حركة الابتعاث السعودية إلى خارج العالم العربي، وقد اختلف المؤرخون حول بداية تاريخ الابتعاث إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن كثيرين يرون أن عام 1936 هو البداية الفعلية للابتعاث الرسمي للطلبة السعوديين إلى أوروبا، أما بالنسبة إلى أمريكا فكانت أول دفعة سعودية رسمية تخرجت في الجامعات الأمريكية في عام 1952، وضمت تسعة طلاب فقط؛ ثلاثة لدراسة البكالوريوس، وستة لدراسة الماجستير.

³ سليمان الشيان، الابتعاث استثمار في العقول مستقبل أمة، جريدة عكاظ، (9 مايو/أيار 2014)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <https://www.okaz.com.sa/article/921616>

وأفاد تقرير للملحقية الثقافية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية أن الراحل عبد الله بن حمود الطريقي، أول وزير للبترول والثروة المعدنية في المملكة، كان أول مبتعث سعودي للدراسة إلى أمريكا عام 1948، وبعده اتجهت بعثة من 30 طالباً سعودياً من طلاب شركة أرامكو السعودية من الجامعة الأمريكية في بيروت إلى الدراسة في جامعة تكساس الأمريكية عام 1949.⁴

وكانت الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية التي وضعت بذورها الأولى قبل إعلان نهاية الحرب العالمية الثانية، حين كان الحلفاء تقريباً على وشك خطوتين من الانتصار الكامل، حينما التقى الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود برئيس الولايات المتحدة الأمريكية حينها، روزفلت، حيث انتهى اللقاء بمجموعة من البنود التي توافق عليها الطرفان للاتفاق على شراكة استراتيجية بين البلدين امتدت لليوم، كان من نتائجها الجانبية التعاون بين البلدين في استخراج النفط من المملكة، والتعاون في المجال العسكري والتجاري، والأهم الاعتماد على الجامعات الأمريكية كمقصد رئيسي لتعليم الأجيال الجديدة من المبتعثين السعوديين.

كانت علاقات المملكة بالولايات المتحدة تقتصر على التعاون التجاري البحت، حيث تشير الإحصائيات المتوفرة في الملحقية عام 1952 إلى أن عدد المتخرجين السعوديين من الجامعات الأمريكية في ذلك الوقت لا يتجاوز تسعة طلاب؛ ثلاثة بدرجة البكالوريوس وستة بدرجة الماجستير، وبعد التوصل إلى اتفاقيات تعاون مشتركة بين البلدين وتبادل العلاقات الطلابية انطلقت المرحلة الثانية للابتعاث فأرسل عدد أكبر من المبتعثين السعوديين للجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية.⁵

وقد دعا ذلك التطور في البعثات العلمية السعودية إلى الولايات المتحدة للإسراع في افتتاح أول مكتب ثقافي للإشراف على المبتعثين السعوديين في أمريكا، وذلك عام 1952؛ ليكون رابطاً مع المملكة في الأمور الثقافية والتعليمية والعلمية. وقد افتتح في البداية كمكتب ملحق في مندوبية المملكة لدى الأمم المتحدة بمدينة نيويورك، وانحصرت مسؤولياته في الإشراف المالي

⁴ قصة ابتعاث السعوديين إلى أميركا من الألف إلى الياء، مصدر سابق.

⁵ المصدر نفسه.

والاجتماعي على هذا العدد المحدود جداً من الطلاب المبتعثين، ولم يُعْتَدَ بهذا المكتب كأول مكتب رسمي إلا بعد أن انتقلت تبعيته من المندوبية إلى وزارة المعارف آنذاك.

وعدَّ المختصون في مجال التعليم السابع من شهر أغسطس/آب عام 1956 التاريخ الرسمي لافتتاح أول مكتب ثقافي في تاريخ الابتعاث السعودي بأمريكا، وأطلق عليه المكتب الثقافي السعودي بنيويورك. وشهدت هذه المرحلة تضاعف أعداد المبتعثين السعوديين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليبلغ عددهم عام 1974 (800) مبتعث، ولم يمضِ العام حتى قفز هذا العدد بصورة غير مسبوقة إلى نحو (2039) مبتعثاً، وأدت هذه الزيادة، فضلاً عن استمرار رغبة الحكومة في تشجيع الابتعاث، إلى إعادة النظر في طريقة الإشراف على الطلاب، والتفكير في إنشاء المكاتب الفرعية، وانتقال إدارة الإشراف على المكاتب الثقافية إلى وزارة التعليم العالي بدلاً من وزارة المعارف، كما انتقل المكتب الثقافي من مدينة نيويورك لمدينة هيوستن عام 1975.⁶

تشير الأدبيات المتوفرة في ملحقات البعثات السعودية في الخارج إلى تصاعد أعداد المبتعثين في مختلف التخصصات في عهد الملك فهد، فقد استمر دعم الابتعاث خلال الـ ٢٥ عاماً الماضية. ومع تطور التعليم النوعي في المملكة بدأت تقل نسبة الابتعاث إلى الخارج، نظراً لتوافر فرص التعليم الجامعي والعالي في المملكة، واقتصرت الابتعاث على التعليم العالي في التخصصات العلمية والطبية والتطبيقية النادرة التي تحتاج إليها متطلبات خطط التنمية؛ بالتركيز على إرسال المبتعثين في المجالات التي تشتد الحاجة إليها من القوى العاملة المتخصصة، التي تثري حاجة المملكة من هذه التخصصات، كما تعمل على إحلال القوى البشرية السعودية محل القوى الأجنبية، فلم تقتصر جهة الابتعاث على وزارة التعليم العالي، بل تعددت جهات الابتعاث للدراسة في الخارج متوزعة على خمس مجموعات رئيسية هي: وزارة التعليم العالي، والجامعات والمؤسسات التعليمية، والوزارات، والمؤسسات، والمصالح الحكومية.⁷

استمر مشروع الابتعاث على نحو جيد، وتعاضم في عهد الملك فهد بن عبد العزيز، ثم بدأت

⁶ المصدر نفسه.

⁷ برنامج الابتعاث الخارجي.. الرؤية والتحديات، مجلة المجلة، (2 أكتوبر/تشرين الأول 2012)، تاريخ زيارة الرابط 25 يوليو/تموز 2018: <https://goo.gl/kDQ31G>

فكرة برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للابتعاث الخارجي تظهر إلى النور في أعقاب زيارته (حينما كان ولياً للعهد) للولايات المتحدة الأمريكية ولقائه بالرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وجاءت هذه الزيارة لتؤكد عمق العلاقات ورسوخها، والاحترام المتبادل بين البلدين، وجاء البيان المشترك بمنزلة إعلان عن بدء هذا البرنامج، حيث تم الاتفاق على ضرورة تذليل العقبات، وتسهيل إجراءات الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية للمواطنين السعوديين، خاصة الطلاب، مما أدى إلى صدور موافقة المقام السامي في الثاني والعشرين من شهر مايو/أيار عام 2005 على ابتعاث الطلاب لمواصلة دراستهم الجامعية والعليا والحصول على درجات علمية تلبي حاجة سوق العمل ومتطلبات التنمية في المملكة.

واهتم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، منذ توليه مسؤولية شؤون البلاد، بالطلاب والدارسين بشكل خاص، وأعطى توجيهاته بتطوير برنامج للابتعاث يتميز بتنوع توجهاته ومدارسه العلمية والتقنية.

ونظراً لاهتمام المملكة بتنوع مصادر الابتعاث والاستفادة من مدارسها المختلفة فقد توسّع برنامج خادم الحرمين ليشمل بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد على 27 دولة أخرى، منها: سنغافورة، واليابان، ونيوزيلندا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، وإيطاليا، وهولندا، والصين، وماليزيا، وكندا، وأستراليا، والهند، فالتسعت بذلك دائرة الاستفادة وأصبح التنوع في مصادر التعليم يمثل حجر الزاوية في سياسة التعليم والابتعاث للخارج، ويعبر عن فلسفتها ومنهجيتها القائمة على إعطاء الفرصة للطلاب المبتعثين للدراسة الجامعية والعليا في جامعات مرموقة ذات سمعة عالمية⁸.

ما يميز إطلاق مشروع برنامج خاص للابتعاث أمران، وجود مسار تعليمي واضح للابتعاث تحت رئاسة الحكومة السعودية مباشرة، والأمر الثاني هو الدعم الهائل الذي تلقاه برنامج الابتعاث، فقد وصل إجمالي ما صرف عليه خلال العام المالي 1431-1432هـ (عامي 2009-2010م) إلى 12 مليون ريال للابتعاث للجامعات المرموقة في عدد من الدول المتقدمة، في التخصصات التي تحتاجها خطط التنمية، للحصول على درجة البكالوريوس والماجستير

⁸ برنامج خادم الحرمين أكبر برنامج ابتعاث في تاريخ المملكة، مصدر سابق.

والدكتوراه. كما صدرت في العام 2009 الموافقة على تمديد فترة برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي خمس سنوات، وأتاح هذا البرنامج لأكثر من 133 ألف مبتعث ومبتعثة فرصة الدراسة واكتساب المعارف والمهارات، وتحقيق الامتداد الثقافي بين المملكة العربية السعودية والحضارات الأخرى، من خلال أكثر من 34 دولة في العالم.

وقد صاحب هذا توسع كمي في أعداد المبتعثين والمبتعثات بشكل كبير، وكذا تخصصات الابتعاث، مما عظم من فرص نيل أي سعودي الحق في الابتعاث والتعلم بالخارج، دون أي عوائق مالية، كما زادت المؤسسات الميسرة لإجراءات مشروع الابتعاث وخدمته وتنظيمه، حيث زادت أعداد الملحقيات الثقافية السعودية في الخارج من 24 ملحقية عام 1426هـ إلى 34 ملحقية حالياً، وتلقت دعماً بالكفاءات المؤهلة لدعم ومساندة الطلاب والطالبات المبتعثين⁹.

استُكملت المبادرة في عهد الملك الحالي، الملك سلمان عبد العزيز، ليكون هذا البرنامج رافداً مهماً لدعم الجامعات السعودية والقطاعين الحكومي والأهلي بالكفاءات المتميزة من أبناء الوطن، وليقوم بتنمية الموارد البشرية السعودية وإعدادها، وتأهيلها بشكل فاعل؛ لتصبح منافساً عالمياً في سوق العمل ومجالات البحث العلمي، وتجسيدياً لخطة (رؤية 2030) التي تولي أهمية خاصة للتنمية العلمية.

وفي هذا الإطار صدر من الملك سلمان بن عبد العزيز أمر بإلحاق الطلبة والطالبات الدارسين حالياً على حسابهم الخاص في الولايات المتحدة الأمريكية بالبعثة التعليمية ضمن برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي، وعددهم (2628) طالباً وطالبة ممن أنجزوا الساعات المسموح بها للالتحاق بعضوية البعثة، أو ممن بدؤوا الدراسة الأكاديمية في جامعات موصى بها وفي التخصصات المعتمدة في البرنامج، ولم ينجزوا الساعات المسموح بها للالتحاق بالبعثة¹⁰.

زاد الاهتمام بمشروع الابتعاث تحديداً؛ نظراً لأن الحكومة الحالية تحاول التركيز بشكل

⁹ المصدر نفسه.

¹⁰ صالح حماد، الابتعاث إلى أميركا، مصادر القوة والطاقة البشرية والعقول المبتكرة، الرياض، (15 يونيو/حزيران 2016)، تاريخ زيارة الرابط 10 أغسطس/آب 2018: <http://www.alriyadh.com/1511411>

أكبر على فكرة التنمية انطلاقاً من اعتمادها على مشروع (السعودية رؤية 2030)، فلم يعد الابتعاث مقتصرًا فقط على دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وأوروبا، وإنما امتد إلى دول مثل الصين؛ كل ذلك بحثاً عن الجودة العلمية، والكفاءة المهنية.

وقد كان الابتعاث يسير جنباً إلى جنب مع توسع المملكة في علاقاتها الخارجية، وتعظيم دورها الخارجي في المحيط الإقليمي والدولي، وسعيها لأن يكون لها حضور أكبر دولياً، وتعميق علاقاتها الدولية بتنوعات محورية وقطبية مختلفة، لا الاعتماد فقط على محور دولي واحد، ومن ثم يمكن ملاحظة أن المملكة صار لها مبعثوها حتى في جمهورية الصين الشعبية، التي حتى وقت قريب لم تكن لها علاقات قوية بالمملكة؛ وقد كان ذلك نتيجة الجهد الدبلوماسي السعودي المكثف.

ولتاريخ الابتعاث السعودي في الصين قصة، فأتناء زيارة الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز إلى الصين في العام 2006، طلب لقاء المبعثين السعوديين في الصين، كما يفعل عندما يزور الولايات المتحدة أو بريطانيا أو فرنسا وغيرها من الدول، وحين أخبره وزير التعليم العالي- في ذلك الوقت- بأنه لا توجد بعثات تعليمية للسعودية في الصين رغم العلاقات الاقتصادية والسياسية المتينة معها، وجّه حينها الملك عبد الله- رحمه الله- وزارة التعليم بفتح ملحقة ثقافية في بكين، وتشجيع الابتعاث للصين، حتى وصل عدد الطلاب المبعثين هناك خلال مدة قصيرة إلى عدد لا بأس به، يدرسون في جامعات الصين في كل التخصصات باللغة الصينية¹¹.

لم يكن للمملكة خلال مدة طويلة من تاريخها مبعثون في الاتحاد السوفييتي، الذي كان في حالة عداء مستحکم مع المملكة العربية السعودية، أولاً لوجود كلتا الدولتين على النقيض، فالاتحاد السوفييتي كان يدين بالأيديولوجية الاشتراكية والشيوعية التي كان يرسخها في خطابه ومشروعه السياسي، بل يتبناها في خط التعليم والإعلام، وثانياً تضاد خط المصالح بين الدولتين خلال مدة طويلة من الزمن، حتى بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في بداية التسعينيات.

¹¹ فهد عريشي، تاريخ الابتعاث السعودي في الصين، جريدة الوطن السعودية، (27 أبريل/نيسان 2014)، تاريخ زيارة الرابط ٥٥ يوليو/تموز 2018: <https://goo.gl/2isw47>

لكن في خطوة عدت حينها الأولى من نوعها، وتحديدا في العام 2004، حصل 5 طلاب سعوديين على منح دراسية من الحكومة الروسية لدراسة المرحلة الجامعية والأولى والماجستير في جامعات في روسيا الاتحادية، في مؤشر على منطف جديد شهده ملف التعاون الروسي-السعودي. كما أتت الخطوة نفسها متزامنة مع حالة التوتر مع الولايات المتحدة الأمريكية إثر أحداث 11 سبتمبر 2001، وقد أتت مسألة وجود مبتعثين سعوديين في روسيا الاتحادية بصفتها إحدى نتائج زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز (الذي كان ولياً للعهد حينها) لروسيا في العام 2003، وإبرام اتفاقية التعاون بين البلدين في مجال البترول والغاز، وبعض المجالات الأخرى كالتعليم والتدريب¹². لكن الباحث لم يتوصل لأرقام دقيقة حول أعداد الباحثين في روسيا الآن.

ثانياً: حجم الموارد البشرية والمادية لبرنامج الابتعاث السعودية

يقوم برنامج الابتعاث الخارجي على إرسال الطلاب والطالبات السعوديين إلى أفضل الجامعات العالمية في مختلف دول العالم لمواصلة دراساتهم في مراحل التعليم المختلفة، ويبدأ التقديم عادة مع بداية الإجازة الصيفية، وبعد انتهاء العام الدراسي مباشرة، ويعلن بدء التسجيل في الصحف ووسائل الإعلام المختلفة، ويكون التقديم فيه عن طريق البوابة الإلكترونية عبر موقع وزارة التعليم العالي، وهذا ويشترط برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي للالتحاق به شروطاً عامة، وهي أن يكون المتقدم سعودي الجنسية، وألا يكون شاغلاً لوظيفة حكومية، وأن يتفرغ ويقيم في بلد الدراسة، وأن ينتظم الطالب بالدراسة انتظاماً كلياً، كما أن الشروط الخاصة لكل مرحلة توضح عند الإعلان عنها¹³.

في عهد الملك السابق عبد الله بن عبد العزيز بلغت ميزانية التعليم العالي ما نسبته 12% من إجمالي الميزانية السنوية للدولة، التي تبلغ 600 مليار ريال سعودي. ويعد برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث أكبر برنامج (من نوعه) عالمياً بالنسبة إلى عدد سكان المملكة، والثالث عالمياً بعد الصين والهند. والطلاب المبتعثون يدرسون -بتنسيق مع وزارة الخدمة

¹² أنيس القديحي، أول 5 طلاب سعوديين إلى موسكو بعد حصولهم على منح دراسية من الحكومة الروسية، الشرق الأوسط، (13 سبتمبر/أيلول 2004)، تاريخ زيارة الرابط 17 أكتوبر/تشرين الأول 2018: <https://goo.gl/taCNQZ>

¹³ صالح حماد، مصدر سابق.

المدنية ووزارة العمل والغرف التجارية- تخصصات عدة، وهي تخصصات نادرة يحتاج إليها سوق العمل. وهناك لجان دائمة الآن وفرق عمل مع وزارة الخدمة المدنية ووزارة العمل والغرف التجارية، وهناك يوم مهنة في كل ملحقية ثقافية لاستقطاب الشركات والقطاع الخاص والجامعات أيضاً من خريجي هذا البرنامج¹⁴.

فور إطلاق برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك السابق عبد الله بن عبد العزيز للابتعاث الخارجي، حُصصت ميزانية ضخمة للابتعاث الخارجي، وقد أُنشئت موازنة عام 2014 آمل آلاف الطلاب السعوديين بفرص أكبر وأوسع وفتحتها لهم في مجال الابتعاث الخارجي، حيث أعادت الحكومة السعودية تأكيدها- من خلال موازنة تلك السنة- تنمية الموارد البشرية وتعزيز قطاع التعليم، والمضي قدماً في برنامج الابتعاث الخارجي للطلبة السعوديين. واستحوذ قطاع التعليم حينها على أكبر مخصص مالي في الموازنة الجديدة، حيث خصصت 210 مليارات ريال للتعليم، وبواقع 25% من إجمالي الإنفاق الحكومي العام للعام الجديد. في حين أشارت الحكومة إلى أن أعداد الطلبة السعوديين الدارسين في الخارج ضمن برنامج الابتعاث الخارجي وصل في عام 2014 إلى 185 ألف طالب وطالبة، موزعين على مختلف أنحاء العالم، وفي مختلف التخصصات. وقد قفز تسجيل أعداد الطلبة المبتعثين إلى الخارج إلى رقم كبير بسبب زيادة الدعم المقدم لبرنامج الابتعاث.

ووفقاً لللائحة برنامج الابتعاث فإن الحكومة السعودية تتكفل بكل الرسوم الدراسية والتكاليف المعيشية للطلاب المبتعث، إضافة إلى المرافق له، بحيث يكون التعامل مع الطالب الذي يأتي مع عائلته مختلفاً عن التعامل مع غيره، إضافة إلى أن الحكومة السعودية تتكفل بتأمينه صحياً ومتابعته دراسياً من خلال الملحقية، وصولاً إلى حصوله على الشهادة الجامعية التي يأتي لنيلها.

وقد حُصصت للبرنامج منذ بدء تنفيذه في عهد الملك الراحل عبد الله - رحمه الله - ميزانية قدرها 15,7 مليار ريال، أنفق منها 5,7 مليارات ريال. وتشير الإحصاءات إلى أن إجمالي عدد المبتعثين والمبتعثات الذين أبتعثوا في هذا البرنامج منذ بدئه وحتى عام 2009

¹⁴ المصدر نفسه.

بلغ نحو (43764) مبتعثاً، بما يعادل 70,6% من مجمل عدد المبتعثين والمبتعثات على نفقة الدولة كافة، والبالغ عددهم نحو 61969 مبتعثاً¹⁵.

ووفقاً لبيانات وزارة التعليم العالي، وهي بيانات ترجع لعام 2013، فالعوائد التي يتحصل عليها المبتعث تسير كالاتي- وسيضرب العائد هنا بنموذج مبتعث في الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفها أكثر الدول استيعاباً للمبتعثين-: تبلغ مكافأة المبتعث قرابة سبعة آلاف ريال، وتحديدًا في أمريكا 1848 دولاراً، يحصل المرافق (الزوجة- الزوج أو الأب أو الأخ) على قرابة 50%، وهي تحديدًا في أمريكا 978 دولاراً، وفي حال التحاق المرافق بالدراسة الأكاديمية يتلقى مكافأة مبتعث، والأطفال من الأول حتى الرابع يحصلون على 25%، والأطفال من الخامس فما فوق يحصلون على مبلغ مقطوع مقداره عشرة آلاف ريال سنوي، وتذاكر سفر سنوية إلى المملكة، وإلى مقر البعثة للجميع، وتأمين طبي شامل وفاعل حول العالم حتى في حال كان في المملكة، ومكافأة تميز في كل فصل دراسي؛ وهي (مخصص شهر دون البدلات لمن يحصل على معدل أعلى من 3.9)، ثم تتدرج إلى أقل من ذلك حسب المعدل الدراسي. ومكافأة قائمة العميد (مخصص شهر بدون البدلات) حسب قائمة كل جامعة، ومكافأة تسجيل اختراع علمي (مخصص شهر بدون البدلات)، ومكافأة إنجاز علمي محكم (مخصص شهر بدون البدلات)، ومكافأة إنهاء اللغة قبل سنة (مخصص شهر بدون البدلات)، ولا تنطبق على من تلقى تعليمه باللغة الإنجليزية قبل الالتحاق ببرنامج اللغة، ويتمكن المبتعث من حضور مؤتمر في كل مرحلة، وقد بلغ عدد المتقدمين لبراءات الاختراع في أمريكا مئتي مبتعث، أجاز منها 12 براءة اختراع، وتتولى الملحقية دفع تكاليف التسجيل التي قد يصل بعضها إلى قرابة 25 ألف دولار¹⁶.

وبصدور ميزانية العام المالي 2015 كانت أرقامها دالة بوضوح على أن القيادة السعودية تولي التعليم أهمية بالغة كركن رئيس في عملية التحول إلى مجتمع واقتصاد المعرفة، فقد بلغ ما خُصص لقطاع التعليم العام والتعليم الجامعي وتدريب القوى العاملة ما يقارب (217) مئتين

¹⁵ برنامج خادم الحرمين أكبر برنامج ابتعاث في تاريخ المملكة، مصدر سابق.

¹⁶ محمد التبيني (وآخرون)، الابتعاث حاجة ملحة أمام توفر كثير من التخصصات، جريدة اليوم السعودية، (7 مارس/ آذار 2013)، تاريخ زيارة الرابط 8 سبتمبر/ أيلول 2018: <https://goo.gl/nwPsAL>

وسبعة عشر مليار ريال، بما يمثل نسبة 25% من النفقات المعتمدة بالميزانية. وتضمنت الميزانية موازنة مخصصة لبرنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي.

وصل عدد المبتعثين من الطلبة والطالبات الدراسين في الخارج الذين تشرف عليهم وزارة التعليم- التعليم الجامعي ما يزيد على (207,000) مئتين وسبعة آلاف طالب وطالبة مع مرافقيهم في العام 2015، بنفقات سنوية تبلغ (22,5) اثنين وعشرين ملياراً وخمسمئة مليون ريال، هذا فضلاً عن الموظفين المبتعثين من الجهات الحكومية¹⁷.

في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز تضخمت الموارد المخصصة للابتعاث، وحجم المبتعثين إلى الخارج لتطوير الكوادر الأكاديمية والمتعلمين السعوديين بشكل يتواءم مع السوق الوظيفي والبيئة العلمية السعودية. ففي 2018 دشنت السعودية المرحلة الثالثة من برنامج خادم الحرمين الشريفين، التي تعد مرحلة جديدة في تاريخ الابتعاث بالسعودية، بالتركيز على تخصصات نوعية في الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني والنقل الجوي والتخصصات الصحية، في مسارات ستؤدي إلى تأهيل موارد بشرية نوعية من الشباب السعودي، يجري تعليمه وتدريبه في كبرى الجامعات العالمية، ليكونوا مورداً مهماً لدعم برامج ومبادرات مشروع (السعودية رؤية 2030).

والجديد في هذه المرحلة من الابتعاث أن الطالب المتميز يستطيع الحصول على ابتعاث مباشر عن طريق مسار الابتعاث لنخبة الجامعات العالمية، أي بمعنى أن يتواصل الطالب بنفسه مع جامعة غربية، ثم يقدم طلب ترشيحها له لإدارة البعثات، ثم تضمن الوزارة لاحقاً ابتعاثه وتحمل بقية تكاليف البعثة.

كذلك أُطلق مسار ابتعاث ذوي الاحتياجات الخاصة مع الجمعيات المتخصصة في السعودية، لإتاحة فرصة أمام ذوي الاحتياجات الخاصة لخدمة بلدهم، كما تعمل على تطوير مسار الابتعاث الطبي، للحصول على الزمالة، ليكون ابتعاثاً مباشراً متى ما توافر القبول أو متى ما أتيحت المقاعد في المستشفيات العالمية المتعاونة مع الوزارة، وترافق مع هذه المرحلة أيضاً تطوير

¹⁷ ميزانية التعليم، وزارة التعليم السعودية، (دون تاريخ)، تاريخ زيارة الرابط 26 أغسطس/آب 2018: <https://goo.gl/szFdUp>

خدمات البوابة الإلكترونية، ليقدم خدمات إلكترونية متعددة، حيث عملت الحكومة السعودية على تطوير بوابة سفير، لتشمل كل الخدمات الطلابية الممكنة، ومنها إصدار تذاكر السفر إلكترونياً¹⁸.

من جهة أخرى سهّلت الحكومة السعودية الأمر للمبتعثين السعوديين من خلال تسهيل التنقل بين دول الابتعاث، فوكيل وزارة التعليم للبعثات المشرف على الملحقيات الثقافية، الدكتور جاسر الحريش، في لقاء مفتوح نظّمته الملحقية الثقافية السعودية في بريطانيا، إحدى أبرز الدول التي تحرص الحكومة السعودية على بعث أبنائها إليها، أكد أن أي مبتعث الآن يستطيع أن ينتقل إلى أي دولة من دول الابتعاث، إذ ألغى التعميم الذي يمنع الانتقال، مشيراً إلى أن أي مبتعث يحصل على منحة من جامعتة الأجنبية التي يدرس بها سوف يُضمّ للابتعاث وتكفل الوزارة ببقية مصروفاته، وبين الدكتور الحريش أن نظام الابتعاث المطور الجديد سيتيح خياراً لتدريب المبتعث خلال فترة ابتعاثه في الشركات المتخصصة أو بعدها، للاستفادة من المبتعثين وإتاحة الفرصة لخريجي الابتعاث في العمل¹⁹.

ثالثاً: تأثيرات الابتعاث الاجتماعية والثقافية

كان مشروع الابتعاث- وما زال- من أهم الخطوات التي اتخذت في مسار التعليم في المملكة، حيث أتاح الفرص الكبيرة والثمينة للشباب للحصول على فرص ذهبية في التعايش مع تجارب المجتمعات الأخرى في طرق التعليم العالي لديهم، والتنوع التخصصي الذي سيؤهل الشباب المبتعث لإتاحة التنوع في سوق العمل المحلي في وطنه، ونقل الخبرة في مجالات جديدة مختلفة برعت فيها المجتمعات الغربية.

وتمثل أحد أبرز أهداف الابتعاث الخارجي في إعداد الموارد البشرية السعودية وتأهيلها بشكل فاعل لتصبح منافساً عالمياً في سوق العمل ومجالات البحث العلمي ورافداً مهماً في دعم الجامعات السعودية والقطاعين الحكومي والأهلي بالكفاءات المتميزة، وتركز الإدارة السعودية

¹⁸ محمد الحربي، السعودية.. 6 آلاف مقعد للابتعاث في 17 دولة، العربية نت، (27 يونيو/حزيران 2018)، تاريخ زيارة الرابط 12 أغسطس/آب 2018: <http://cutt.us/UhbAD>.

¹⁹ «التعليم»: يستطيع المبتعث أن ينتقل لأي دولة من دول الابتعاث، مجلة الاقتصادية، (27 نوفمبر/تشرين الثاني 2018)، تاريخ زيارة الرابط 20 أغسطس/آب 2018: <https://goo.gl/JRukRh>.

الحالية على مسائل من مثل: الابتعاث والتعليم كخطوة مهمة لتطوير الموارد البشرية والطاقات الوطنية ضمن أحد أهم الأهداف التنموية لمشروع (السعودية رؤية 2030)، والذي يسير بالمملكة العربية السعودية لمرحلة حديثة تقلل من الاعتماد على المرحلة النفطية، لتستمد قوتها الاستراتيجية من تناغم مختلف الجوانب العلمية والاقتصادية والسياسية. غير أن تأثيرات هذا البرنامج لا تنحصر في البعد الاقتصادي المستهدف وإنما تتعداها إلى جوانب أخرى اجتماعية وثقافية قد تكون لها انعكاسات إيجابية وسلبية في الوقت نفسه.

أ. الابتعاث كعامل تغيير مجتمعي

لا شك أن جزءاً كبيراً جداً من التغييرات الاجتماعية والثقافية تحدث نتاج مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية، من بينها: (الإصلاح السياسي- والإصلاح الديني- والاستعمار- والحراك الثقافي- والحروب، وغيرها)، لذلك يمثل الاحتكاك الثقافي بثقافة أخرى بوسائل مختلفة مثل: الابتعاثات العلمية، وحركات الترجمة، وغيرها، إحدى أدوات تأثير ثقافة بثقافة أخرى، وقد كانت الابتعاثات العلمية الخارجية سبباً في تغيير اجتماعي كبير في دول نامية عديدة، حينما أرسلت جزءاً من أبنائها إلى الخارج، خصوصاً حين يتولى هؤلاء المبتعثون فيما بعد مناصب رفيعة المستوى، أو مسؤوليات في جهاز الإدارة العامة للدولة، أو قطاعات مستقلة ذات تأثير سياسي أو مجتمعي كبير، ويمكن هنا ذكر عدة أمثلة لرؤية هذا التأثير:

- لا يخفى مدى التأثير الذي أحدثته مجموعة المثقفين والأدباء والعلماء المصريين الذين ابتعثوا في القرن التاسع عشر عن طريق محمد علي، ثم البعثات التي توالى في بداية القرن العشرين، حيث تولى هؤلاء الأفراد الوافدون لاحقاً منصات تأثير ثقافية وعلمية وأكاديمية واسعة في المجال الثقافي والأكاديمي والعلمي المصري.

- التقارب المصري - الروسي في الستينيات ودعم الحكومة المصرية لمبتعثين عسكريين لدراسة العلوم العسكرية في روسيا، أدى إلى تكوين عقلية استراتيجية عسكرية متأثرة بالنمط الروسي الإداري والعسكري قبل تحويل هذا الاتجاه لاحقاً في عصر السادات، بعد التقارب المصري مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- كان لدراسة مجموعة كبيرة من الصينيين واليابانيين في الولايات المتحدة الأمريكية دور في ظهور أجيال جديدة من الصينيين واليابانيين المتأثرين بالثقافة الغربية ومظاهرها اللغوية والثقافية والفنية وغيرها.

على المستوى الاجتماعي، تكمن إحدى أبرز مزايا مشروع الابتعاث في المملكة العربية السعودية في أنه أتاح تكافؤ الفرص أمام الطلاب جميعاً بصرف النظر عن المقدرة المالية التي تتميز بها أسرة طالب دون آخر، ففي السابق كانت أسر الأثرياء هي فقط من تبتعث أبناءها للدراسة خارج المملكة؛ إلا أن هذا المشروع الضخم والهام أتاح تكافؤ الفرص أمام جميع أبناء وبنات المملكة، ومن ثم فقد وسعت برامج الابتعاث قاعدة الطلاب المبتعثين إلى الخارج، بحيث أسهم هذا البرنامج في تحقيق مساحة من العدالة تضمن وصول فرص التعليم الجيدة لأكثر قدر ممكن من المتميزين أكاديمياً.

في دراسة علمية حول دور (برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث) في تحقيق الانفتاح الثقافي لدى الشباب السعودي، اعتبر الدكتور منصور بن عبد الرحمن بن عسكر، أستاذ علم الاجتماع المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، أن الابتعاث له أهمية كبرى في تطور المجتمعات، كما أنه يساعد على الانفتاح الثقافي، والتغيير الاجتماعي والاقتصادي، ويعد أحد العوامل التي تسهم في التنمية، وتسريع عملية التغيير الإيجابي داخل المجتمع السعودي، مع الحفاظ - بالتأكيد - على قيم المجتمع المحلي السعودي وثقافته. ويعد (الابتعاث) أيضاً إحدى القنوات التي تعطي الصورة الحقيقية للإسلام وللسياسات السعودية في الخارج.

ويقول الدكتور عسكر في دراسته: «إننا اليوم ونحن نعيش في ظل الانتشار الثقافي والاحتكاك الحضاري مع وسائل الاتصال المتطورة، أصبحنا أشبه ما نكون في حي واحد، بدلاً من المصطلح القديم الذي جاء به عالم الاجتماع الكندي مارشال ماكلوهان صاحب فكرة القرية الكونية الواحدة، حيث تلعب هذه الأمور وغيرها في عصرنا الحاضر القوة الأكثر تأثيراً في حياتنا، بسبب التطور والتقدم التكنولوجي».

وأشارت دراسة عسكر إلى أن الابتعاث يفيد في زيادة المعارف العلمية حول كيفية الحصول

على المعلومات وانتقائها، والكلام السابق ذكره- وفقاً لكاتب الدراسة- يتفق مع فكر اتجاه الانتشار الثقافى الذي يرى أن الشعوب المتقدمة ما كانت لتبلغ درجة تقدمها بوجود رأس المال فقط، وإنما بمجتمع اعتمد أولاً على العلم والتكنولوجيا، وهذا ما أوضحه الطلاب المبتعثون، حيث أكدوا أن الابتعاث يفيد في زيادة المعارف العلمية، وفي كيفية الحصول على المعلومات وانتقائها، حيث يتيح الوجود في بيئة علمية وتكنولوجية للطلاب المبتعثين الاطلاع على هذه التقنيات، وكيفية استخدامها ودورها في الحياة، وكيفية الاعتماد على المعلومات والبيانات العلمية في التطوير المنهجي، ومناقشة المشاكل وحلها²⁰.

وعلى المستوى الذاتي والفردى ساعد مشروع الابتعاث على إكساب الشباب القدرة على الحوار الجيد والتفاعل المثمر مع الآخرين، كما ساعد المبتعثين الشبان على إيجاد ثقافة الحوار الجيد، والتفاعل المثمر والمفيد والسليم مع الآخر، وهو ما يتفق مع نظرية الثقافات الفرعية، التي تؤكد أن هناك ثقافات مختلفة ومتنوعة بين الدول المتعددة، سواء ثقافة فرعية علمية أو ثقافات معرفية عامة وثقافة مختلفة، فالشباب من خلال الابتعاث يطلع على الثقافات العامة، ويأخذ منها ما يناسب مجتمعه وقيمه وأخلاقياته، كما يستفيد من الثقافة العلمية التي تؤكد الحوار والمناقشة والتفاعل للحصول على الفريد من المعلومات والقيم العلمية والثقافية²¹.

من المهم الاستعانة بأراء شخصية لمبتعثين خاضوا التجربة لرصد تأثير ذلك في شخصياتهم وتكوينها العلمى والثقافى، ويمكن استحضار عدة نماذج، أهمها:

1- فهد عامر الأحمدى: مبتعث سعودي سابق، أصبح اليوم أحد كتّاب جريدة الرياض البارزين، وقد ابتعث للدراسة في جامعة هاملاين في مينيسوتا الأمريكية، يحكى في تجربته فوائد مهمة للغاية عن التأثير الثقافى والاجتماعى والأكاديمى للابتعاث في الدارس السعودى، بل والمجتمع السعودى ذاته. يعدد الأحمدى الفوائد التي يمكن تحصيلها من الابتعاث، فيشير إلى النواحي الإيجابية وأهمها، **أولاً**: نواحٍ تخص الطالب نفسه، حيث تعلمه الاعتماد على الذات، وبناء شخصية عصبية وواثقة ومتكيفة على العمل تحت ضغوط متنوعة، وفي الوقت

20 برنامج الابتعاث الخارجى.. الرؤية والتحديات، مصدر سابق.

21 المصدر نفسه.

نفسه شخصية مرنة ومتفهمة، وأمر كهذا لا يتوافر لطالب آخر يعيش في منزل والده، ويقضي زهرة شبابه ضمن نسق اجتماعي شائع ومألوف. **ثانياً:** تعرّف خبرات جديدة وطرق مختلفة في بناء الدولة وتطوير المجتمع، فحين تطلع على تجارب الأمم الأخرى - وفقاً للأحمدي- لا تملك غير اقتباس الأفضل لتطوير مجتمعك المحلي، وتلافي الأخطاء التي مرت بها المجتمعات الأخرى. **ثالثاً:** عمل الطلاب أنفسهم كسفراء لبلدانهم ومجتمعاتهم، فالتواصل المباشر بين الأفراد أفضل وسيلة لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ونقل صورة إيجابية لثقافة الطالب الخاصة، وفي المقابل فإن فهم الطلاب السعوديين لطبيعة الآخر وثقافته يعني تلقائياً تفهم الآخرين للسعوديين، وتقديرهم لثقافة المجتمع السعودي وطريقة تفكيره. **رابعاً:** القضاء على ظاهرة التطرف والتشدد الناجمة عن ضيق الأفق ورؤية العالم من منظور خاص ووحيد، فحين يتعرف شعب شعباً آخر ترتفع نسبة التفاهم، ويقل احتمال العدا، ويصبح التعاون وتبادل المنافع هو الأقرب والسائد بين الجميع. ثم **خامساً:** ولأننا نعيش في عصر انفتاح وتبادل منافع يصبح لزاماً علينا- على الأقل- المشاركة في الفهم، وتعميم الخبرة، والبحث في «سر الصنعة». **سادساً:** مهما بلغ تطور أي دولة، ومهما بلغ تقدم أي مجتمع، تظل هناك ثغرات ونواقص يمكن إتمامها بنقلها من بقية المجتمعات الأخرى، وحين تلجأ دولة نامية مثل السعودية إلى نقل خبرات 15 دولة متقدمة (يوجد فيها الطلاب السعوديون هذه الأيام) تصبح المحاسن أكثر من أن تحصى.

أخيراً: حين يعود المبتعثون لأرض الوطن سينقلون خبراتهم لعشرات الآلاف من الطلبة في الجامعات والمعاهد، وحين يتولون المناصب ويتحملون المسؤولية سيكونون على اطلاع كما يأمل المجتمع السعودي على ما يجري في الدول المتقدمة²².

2- **فيصل الشمري:** وهو أكاديمي سعودي درس كمبتعث مرحلتي الماجستير والدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية. يتحدث عن أن التواصل الحضاري والثقافي بين المجتمعات، غربية كانت أم شرقية، له تأثير كبير في سلوك المبتعثين وفكرهم، فيعود المبتعث بالخير إلى أرض الوطن ويسهم في نقل الخبرات والأفكار وتجارب وأنماط الحياة الإيجابية من المجتمعات التي

²² فهد عامر الأحمد، في الابتعاث سبع فوائد، جريدة الرياض، (30 مايو/أيار 2011)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <http://www.alriyadh.com/636938>.

عاشها أثناء الدراسة فيه²³.

أخيراً، يمكن تلخيص الجوانب الاجتماعية والثقافية الإيجابية التي يمكن أن تتحقق عن طريق الابتعاث بما يأتي:

1- الاستفادة من جميع أوجه التطور والتقدم في الدول الغربية المتقدمة، مما يساعد على تطوير مقومات البلد، وتحقيق تقدمه بطريقة مميزة ونوعية.

2- تطوير القطاع التعليمي والأكاديمي السعودي بالاحتكاك المستمر بالمؤسسات الأكاديمية الغربية عن طريق المبتعثين الذين يجري ابتعاثهم دورياً إلى الخارج، والذين يعودون ليشغلوا لاحقاً أماكن مختلفة في وزارة التعليم وفي الجامعات ليسهموا بخبرتهم وما تعلموه بنقله للأجيال الجديدة.

3- تطوير القطاع الإداري للقطاعين العام الحكومي والخاص؛ عن طريق رفده بموظفين جدد أكفاء، تلقوا تعليماً حديثاً عصرياً ومنضبطاً، وكل ذلك يسهم في تطوير العقلية الإدارية للدولة ومؤسساتها المختلفة.

4- للابتعاث تأثيره اللاحق في المجتمع السعودي، فوجود شرائح متعلمة بشكل جيد تقود المجتمع وتديره حتماً له دوره في تقدم هذا المجتمع وتطويره.

5- الاحتكاك بالثقافات الأخرى له دوره في تطوير الثقافة المحلية برفدها بجوانب أخرى إيجابية فيها لا تحويها، مع الأخذ في الحسبان أهمية المحافظة على الهوية والثقافة المجتمعية.

ب. الجوانب السلبية للابتعاث

يرى البعض أن الابتعاث له صورة مختلفة كثيراً عن الصورة البيضاء التي يقدم بها على أنه أداة للتطور والتقدم، فللابتعاث- وفق رأي هذا الفريق- أضرار أكبر بكثير من فوائده. وجهة نظرهم تقول إنه على الرغم من النجاح الذي برهنته تجربة الابتعاث في تحقيق نسب نجاح كبيرة للذين ابتعثوا، فإن هناك من الشباب من أصبح يتخذ من (الابتعاث للخارج) وجهة

²³ فيصل الشمري، الابتعاث والتغيرات الشخصية، مجلة المبتعث، العدد 200، تاريخ زيارة الرابط 1 أغسطس/

آب 2018: <https://goo.gl/1oZvkw>

● الابتعاث وأزمة استنزاف العقول والكفاءات

يرى آخرون أن الابتعاث وسيلة لاستنزاف العقول والكفاءات السعودية، والهجرة الدائمة، فالولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر بلاد العالم جذباً للكفاءات، فقد هاجر إليها ثلاثة وأربعون ألف عالم ومهندس مسلم ما بين عامي 1949-1961، وكان بمستشفياتها بين عامي (1964-1965) أحد عشر ألف طبيب من خريجي جامعات غير أمريكية، ثمانية آلاف منهم من البلاد النامية، ثم إن 90% من الذين يقدمون إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة لا يعودون لأوطانهم، وما بين عامي 1962 و1967 خسرت البلاد العربية أربعين ألفاً وثمانمئة واثنين وسبعين من المهندسين والأطباء وعلماء الاجتماع؛ بهجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية فقط (فما البال ببقية الدول الغربية؟) من 8 دول عربية هي: مصر، والأردن، وسوريا، والعراق، ولبنان، وتونس، والجزائر، والمغرب، وهذه الهجرة من البلاد العربية والنامية انتقائية، فالدول الصناعية تختار من بين المتقدمين للهجرة إليها ذوي الكفاءة التي تحتاج إليها، والمبتعثون الممتنعون عن العودة لأوطانهم - وفقاً لنفس الرأي - بعد إنهاء دراستهم يشكلون المشكلة الحقيقية، بالإضافة الخطيرة لنزيف العقول البشرية، وتصل نسبة هؤلاء الممتنعين عن العودة من بين الطلاب الذين ذهبوا لأمريكا بغرض الدراسة إلى 48%²⁶.

وبغض النظر عن النسبة الأخيرة السابق ذكرها (48%) - وهي مشكوك في صحتها لأنها لا تستند إلى تقارير موثقة، بل ينسبها المؤلف إلى تقرير أمريكي دون ذكر عنوان التقرير، أو اسم المؤسسة الصادر عنها هذا التقرير (وهو الغالب على لغة الكتاب ومضمونه) - فإن هذا لا يلغي أن الدول النامية تعاني بالفعل من استنزاف عقول وكفاءات بشكل واضح، وهذا الأمر ليس مرده لعيب في المبتعثين بقدر ما هو عيب في الدول النامية ذاتها، التي لا توفر مؤسساتها القدر الكافي لا من التدريب ولا من المعرفة التي تُحدِّث بالدول الغربية أولاً بأول، ولا بتوفير البيئات الخلاقة التي تساعد هؤلاء المبدعين على تطوير ما درسوه سابقاً، ومن ثم فإصلاح هذه الأمور يقلل هذا الاستنزاف بشكل كبير.

يذكر نفس الرأي أيضاً، الذي يعتمد على الاستناد إلى دراسات غربية لم يُذكر مصدرها

²⁶ عبد العزيز بن أحمد البداح، الابتعاث تاريخه وآثاره، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الثانية، 2011، ص 69.

أو يشرّ إلى المراكز أو المؤسسات التي نشرتها، أن ما يقرب من ثلاثة أرباع المهاجرين العرب من ذوي الكفاءات العلمية دخلوا الولايات المتحدة الأمريكية طلاباً أو دارسين في حين دخلها الباقون كمهاجرين شرعيين، وتشمل الفئة الأولى خريجي الجامعات الأمريكية الذين استقروا في أمريكا، أو أولئك الذين عادوا لبلادهم واستقروا فيها مدة قصيرة من سنتين إلى أربع سنوات، ثم هاجروا إلى الولايات المتحدة حين لم تسنح لهم الظروف الاقتصادية أو ظروف العمل أو الاستقرار الجيد في بلادهم²⁷.

رابعاً: تحليل لتأثيرات برامج الابتعاث السعودية في سوق العمل والبيئة الأكاديمية

1- الابتعاث الخارجي وأثره في السوق والمجال الأكاديمي

يؤثر الابتعاث تأثيراً جيداً للغاية سواء في تطوير الكوادر من المبتعثين السعوديين كي يكونوا أكثر أهلية لقطاع نوعي من سوق العمل المتطور في المملكة والمرتبطة عالمياً بالاقتصاد العالمي، أو في تطوير المبتعثين الذين سيعودون لاحقاً ليكونوا أفراداً داخل القطاع الأكاديمي السعودي المحلي؛ خصوصاً مع وجود فئة نوعية من السعوديين الذي تخصصوا في مجالات مختلفة مهمة مثل: القطاع الهندسي والتكنولوجي والصحي والبحثي وغيرها.

وتأسيس برنامج للابتعاث الخارجي تحت رعاية خادم الحرمين نفسه كان أمراً ملحاً من حكومة المملكة لعدة أسباب؛ منها دعم الدولة بإعداد جيد للموارد البشرية، وتأهيلها بشكل فاعل لتصبح منافساً عالمياً في سوق العمل، ودعم الجامعات السعودية والمجال البحثي، والقطاعين الحكومي والأهلي بالكفاءات المتميزة²⁸. وعند بدء برنامج الابتعاث كان أبرز أهدافه هي:

1- ابتعاث الكفاءات السعودية المؤهلة للدراسة في أفضل الجامعات في العالم.

2- تأسيس مستوى عالٍ من المعايير الأكاديمية والمهنية.

3- تبادل الخبرات العلمية والتربوية والثقافية مع مختلف دول العالم.

²⁷ المصدر نفسه، ص 70.

²⁸ جيمس سميث، صناعة الابتعاث: رفقاُ بأبنائكم المبتعثين، العربية نت، دون تاريخ، تاريخ زيارة الرابط 25

أغسطس/آب 2018: <http://cutt.us/tByoa>

4- بناء كوادر سعودية مؤهلة ومحترفة في بيئة العمل.

5- رفع مستوى الاحترافية المهنية وتطويرها لدى الكوادر السعودية.

ويوفر برنامج الابتعاث الخارجي لطلاب وطالبات المملكة فرصة الابتعاث للتعليم الجامعي والعالي في التخصصات التي يحتاج إليها سوق العمل في القطاعين الحكومي والأهلي، وهي: الطب والعلوم الطبية، وتشمل الطب البشري، وطب الأسنان، والصيدلة، والتمريض، والأشعة، والمختبرات الطبية، والتقنية الطبية، والعلاج الطبيعي، والعلوم الصحية؛ في حين شمل قطاع الهندسة التخصصات الآتية: الهندسة المدنية، والمعمارية، والكهربائية، والنووية، والميكانيكية، والصناعية، والكيميائية، والبيئية، والاتصالات، والآلات والمعدات الثقيلة؛ وشمل قطاع النقل البحري: المساحة البحرية، والملاحة البحرية، والموانئ، والنقل البحري، والهندسة البحرية؛ وشمل قطاع الحاسب الآلي التخصصات الآتية: هندسة الحاسب، وعلوم الحاسب، والشبكات؛ كما غطى برنامج الابتعاث علوم تقنية النانو، والعلوم الأساسية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء، وشملت العلوم الإدارية تخصصات: القانون، والمحاسبة، والمالية، والتأمين، والتسويق، كما شمل الابتعاث علوماً أخرى مثل: جيولوجيا التعدين والإعلام الرقمي²⁹.

البروفيسورة أليس جاست، رئيسة جامعة إمبيريال كولج البريطانية، وضحت هذا التطور الأكاديمي من خلال ضربها بمثال مهم. تتحدث جاست عن أن التعاون العلمي والبحثي بين جامعة إمبيريال والمؤسسات التعليمية والبحثية السعودية منذ أكثر من 12 عاماً (تحديداً في عام 2006) كان يقتصر على نشر بحث علمي واحد فقط، وخلال أكثر من عشر سنوات تطور هذا الأمر كثيراً، بحيث أصبح النشر العلمي المشترك بين الجامعة البريطانية الشهيرة وبين المؤسسات الأكاديمية والبحثية العلمية السعودية يشمل أكثر من 100 بحث مشترك سنوياً في مجالات علمية متعددة، مثل: أبحاث السرطان، والطاقة النظيفة، والتنمية الإدارية، والبيانات الضخمة (data Big)³⁰.

²⁹ سليمان الثنيان، الابتعاث استثمار في العقول مستقبل أمة، جريدة عكاظ، (9 مايو/أيار 2014)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <https://www.okaz.com.sa/article/921616>

³⁰ شروق هشام، برنامج الابتعاث في المملكة من أضخم البرامج التعليمية عالمياً، مجلة (هي) الخليجية، (17 أبريل/ نيسان 2016)، تاريخ زيارة الرابط 20 أغسطس/آب 2018: <http://soo.gd/ttxw>

2- المبتعثون إلى الخارج وأزمة التوظيف

في الوقت الذي يقابل فيه المبتعثون أزمات شتى أثناء تحصيلهم الدراسي ومحاولة نيل شهادتهم العليا (ماجستير أو دكتوراه) فإن الهم الأكبر لديهم يتجلى حينما يعودون لوطنهم ويدخلون دائرة طويلة من العقبات من أجل الحصول على وظائف مناسبة داخل المملكة، سواء في القطاع العام أو الخاص.

على سبيل المثال فوجئ ما يقارب الـ 150 ألف مبتعث يعيشون خارج المملكة برفض البوابة الإلكترونية لوزارة الإسكان تسجيل بياناتهم في برنامج استحقاق الدعم السكني الذي أطلقته وزارة الإسكان مؤخراً؛ نظراً لوجود المبتعثين خارج المملكة لغرض الدراسة³¹. وهذه ليست المشكلة الوحيدة، فقد أصبحت مسائل مثل الوظيفة تمثل كابوساً مقلقاً للمبتعثين، وأضحى جزء لا بأس به منهم، بالخصوص شرائح الطبقة الفقيرة والمتوسطة، ينشغل عن الدراسة للبحث عن وظائف في بعض الأحيان، حيث تبقى (البطالة) أهم المشكلات التي تواجه المبتعثين السعوديين إلى الخارج حينما يعودون إلى أرض الوطن ولا يجدون الوظائف الملائمة لاستيعابهم، ولذلك يشدد كثيرون في المملكة على أهمية التخطيط لاستيعاب هذه الأعداد في وظائف بعد عودتها، خاصة أن الدراسة قد تطول وتحتاج إلى كثير من الوقت الذي قد تستحدث فيه كثير من الأمور، وذلك ينطبق على من يتوجه من الطلاب لإكمال دراسته العليا بعد الجامعة، فإن المدة قد تطول لثمانى سنوات.

وسيتعين على الدفعات الجديدة من المبتعثين إلى الخارج في الجامعات الأمريكية والأوروبية أن تستفيد من مرحلة الابتعاث بعد شوط كبير شهد فيه الابتعاث ولادات متعسرة فيما يختص بحاجة سوق العمل، وضرورة أن تتواءم مراحل الابتعاث المختلفة مع احتياجات المجتمع المعرفي الملحة.

وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الدولة السعودية في مجال التعليم، خاصة في المرحلة الجامعية، فإنها لا تزال تعاني من غياب الرؤية في تحديد معالم تلك المرحلة، كذلك لا توجد

³¹ أحمد العرياني، مبتعثون محرومون من الوظائف والسكن، جريدة عكاظ، (تاريخ النشر 14 مارس/ آذار 2014)، تاريخ زيارة الرابط 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2018: <https://www.okaz.com.sa/article/908376>

مواءمة بين مخرجاتها واحتياجات سوق العمل، وتدني كفاءتها الداخلية والخارجية، حيث إن الشباب يكتشفون في معظم الأحوال خلال التعليم الثانوي عالماً من المعرفة مقسماً إلى مواد دراسية عديدة (اللغات، والرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية.. إلخ)، ولهذا حدث فجوة حقيقية بين ما هو موجود وما هو مرغوب مستقبلاً، ومن ثم فمن المهم هنا أن تقوم وزارة التعليم السعودية بوضع برامج تعين الطلبة المتخرجين حديثاً من الثانوية على اختيار المجالات التي تتواءم مع ما يرغبون فيه حقاً، وكذلك وضع برامج خاصة بالنواحي العلمية والعملية المطلوبة في سوق العمل السعودي، ورسم خارطة للمجالات المطلوبة، وتحفيز المبتعثين على الانضمام لها، بتوفير مبالغ مادية أكبر للإعاشة، أو نيل مستحقات أكثر في أثناء الدراسة بالخارج، وهكذا.

كثير من المبتعثين يشكون من عدم توفر فرص العمل بعد عودتهم من مرحلة الابتعاث، ويسوقون لذلك مجموعة من التبريرات والأسباب؛ أولها: انقطاعهم عن سوق العمل السعودي المحلي خلال ابتعاثهم، وهذه الفترة تمتد بحد أدنى إلى أربع سنوات، وهي مرحلة دراسة البكالوريوس بالنسبة إلى بعضهم، وقد تقل قليلاً في الماجستير والدراسة المؤهلة لها، سواء دراسة لغة أو دبلومة تمهيدية، وقد تطول لدى البعض بسبب عائق اللغة أو الرسوب في بعض السنوات، أو إكمال دراسات عليا أطول، مثل دراسة الدكتوراه، أو مراحل دراسات ما بعد الدكتوراه، ثاني الأسباب هو عدم وجود تخصصات لهؤلاء المبتعثين، إما في مجال السوق المحلي أو في المجال الأكاديمي، كأن يدرس المبتعث السعودي دراسة شديدة التخصص يرغبها، لكن لا توجد على خريطة السوق العملي، أو في خريطة التدريس الأكاديمي، وهنا ليس أمامه من فرصة للتوظيف سوى بقاءه في البلد التي درس فيها، ومن ثم إما أن تخسر المملكة مورداً بشرياً هاماً، وأموالاً أنفقت، أو خسارة الشخص ذاته بأن يكون مدة طويلة بعيداً عن بلده الأم. وثالث الأسباب هو إجبار المؤسسات الأكاديمية المحلية السعودية المبتعثين على إعادة دراسة بعض المواد للقبول بشهاداتهم التي حصلوا عليها بالخارج.

فمثلاً يعاني الدكتور عبد الله، وهو أحد الطلاب المبتعثين في التخصصات الطبية، من مشكلة لطالما عانى منها كثير من الطلاب المبتعثين في المجال نفسه، وهي التنسيق بين هيئة

التخصصات الطبية وبين وزارة التعليم العالي. يقول: «بعد سنوات من الدراسة في الخارج وتحمل مشقة الغربية، والبعد عن الوطن والأهل، يتفاجأ المبتعث والمتخصص في مجال الطب من قرارات هيئة التخصصات الطبية، والتي تقف حجر عثرة أمام الأطباء الجدد، وذلك لرفضهم بعض سنوات الامتياز في بعض البلدان، وإجبار بعض المبتعثين على إجراء اختبارات وإعادة سنة الامتياز من جديد، كما أن هيئة التخصصات الطبية رفضت في السابق بعض الشهادات الطبية من بعض البلدان المسموح الابتعاث لها؛ كما حصل للمبتعثين في أوكرانيا، حيث حرمتهم هيئة التخصصات الطبية من فرصة مزاولة مهنة الطب». ويضيف عبد الله: «المعوقات لا تقف عند هيئة التخصصات الطبية فقط، بل حتى الجامعات السعودية شريكة في سبب دخول الأطباء تجربة البطالة، وذلك عندما تطالب هيئة التخصصات الطبية بإعادة سنة الامتياز من الطلبة المبتعثين، يُجبر الطالب على التسجيل في الجامعات السعودية، ولكن للأسف فترة التسجيل بالجامعات تكون مرة واحدة في السنة، أي إنه إذا تخرج المبتعث في شهر يوليو/ تموز فلا بد أن ينتظر سنة حتى يفتح التسجيل من جديد». وتساءل عبد الله قائلاً: «صدق أو لا تصدق أنه يوجد أطباء عرب ممن درسوا معنا في نفس الجامعة بالخارج يعملون أطباء في المملكة، ولم تطالبهم هيئة التخصصات الطبية بسنة الامتياز كما طلبتها منّا، وأنا لا أعلم لماذا، وعلى أي أساس تقف هذه الإجراءات أمام المواطن ويستثنى منا الوافدون؟».

وعن قبول الطبيب السعودي للعمل في القطاع الخاص يقول عبد الله: «لن أتردد بالعمل في القطاع الخاص إذا كان المقابل دخلاً شهرياً جيداً يضاوي المرتب الحكومي، علماً بأن المبتعثين غير ملزمين بالعمل في القطاع الحكومي، وهذا يفتح المجال لزملائي الأطباء ممن انتهوا من برنامج الابتعاث إلى الاستفادة من العمل في القطاع الخاص»³².

وأجبرت البطالة التي يعيشها المبتعثون السعوديون، مجموعة منهم من حملة الماجستير والدكتوراه، على إطلاق حملات عبر مواقع التواصل الاجتماعي من أجل البحث عن وظائف، بعد أن وجدوا أنفسهم في عداد العاطلين عن العمل رغم شهاداتهم العليا وتخصصاتهم النادرة، وكان من بين الحملات المثمرة تلك التي تستهدف توظيف المبتعثين في جميع أنحاء العالم عند

32 محمد التبيني (وآخرون)، مصدر سابق.

عودتهم إلى الوطن، كما دعا مؤسسو الحملة الطلاب المبتعثين إلى التسجيل والمساهمة في نشر الحملة.

وذكر عدد من الطلبة السعوديين العائدين من بريطانيا وإيرلندا والصين واليابان في مواقع التواصل الاجتماعي أنهم يعانون من رفض توظيفهم في بعض القطاعات الحكومية وعدد من مؤسسات القطاع الخاص؛ بسبب عدم رضا المسؤولين في هذين القطاعين عن الدولة التي درس فيها المبتعث وحصل على شهادته منها، مبررين ذلك بأن الدولة التي أوقف عنها الابتعاث من قبل وزارة التعليم العالي مؤشراً على عدم الاقتناع بشهادة مبتعثيها، ومن ثم عدم جدارتهم بفرص العمل. وقد ذكر العائد من الابتعاث، فهد الشمري، أنه درس في جامعة أسترالية، وبعد عودته لم يجد عملاً، وذكر أنه رأى إعلانات لشركات سعودية وخليجية في أستراليا تستهدف توظيف المواطنين الأستراليين في الوقت الذي يبحث فيه عن وظيفة ولم يجد³³.

أما أحمد محمد الشهري، وهو صيدلي ومحاضر في جامعة سلمان بن عبد العزيز، ومرشح لدرجة الدكتوراه في جامعة تكساس أوستن، فهو يرى أن المبتعث حينما يعود يواجه أزمة كبيرة للغاية في الوظيفة والسكن، اللتين تعدان من الضروريات الشديدة لكل مواطن، وتعدان من أهم مصادر القلق لدى عدد كبير من المبتعثين السعوديين في الخارج. ويرى الشهري أن هناك عدداً كبيراً لا يستهان به عادوا إلى المملكة ولم يحصلوا على وظائف مناسبة لمؤهلاتهم العلمية، ويرجع الشهري السبب في ذلك إلى أن الابتعاث - في رأيه - لم يخضع لقانون العرض والطلب، ولم تحدد التخصصات التي يريدها القطاع العام والخاص بدقة قبل الشروع في ابتعاث الطلبة للدراسة بالخارج، ومن ثم يعود المبتعث بشهادة عظيمة، وتخصص نادر، لكنه لا يجد له موطئ قدم داخل قطاع التوظيف السعودي، فيضطر إلى شغل أي وظيفة، وربما يقف في الشارع حاملاً شهادته عارضها للبيع بثمن بخس³⁴.

3- حلول توظيف المبتعثين

عدد من الأكاديميين والمختصين وجدوا أن الفرص الكثيرة للطلاب المبتعثين قادمة، وإن

³³ المصدر نفسه.

³⁴ أحمد العرياني، مبتعثون محرومون من الوظائف والسكن، مصدر سابق.

كان ينقصها التخطيط قبل الابتعاث، حيث يجدون أن الرؤية الجديدة في إيجاد فرص وظيفية للمبتعثين ستبدأ مع وجود المتغيرات الكبيرة التي طرأت على المجتمع، ليس في مستوى مناقشته وطرحه وتعاطيه مع قضاياها العامة، بل كذلك في التخطيط لإيجاد مستويات متعددة من العمل في القطاع الحكومي والخاص قد تستوعب تنوعات التخصصات التي سيأتي بها المبتعثون بعد عودتهم، فهل يكون الوقت كفيلاً بنزع تلك المخاوف في مصير المبتعثين بعد العودة؟ أم أن ما يثار من ضرورة أن يكون هناك تخطيط مسبق من قبل وزارة التعليم العالي وكذلك وزارة العمل وبعض الجهات، في تحديد التخصصات المطلوبة والفرص المتاحة، بما يتناسب مع أعداد الطلاب الكبيرة، أمر ملحٌ وبالغ الأهمية؟

لكن مسؤولين حكوميين يرفضون النظرة السوداوية تجاه مصير المبتعثين بعد التخرج، ويعدون مصير طلاب وطالبات الابتعاث ليس مجهولاً، فجميع الطلاب السعوديين المبتعثين- من وجهة نظرهم- لديهم تخصصات مهمة، وسيعودون إلى الوطن وسيجدون الوظائف التي تناسب تخصصاتهم، وسيخدمون بلدهم، مشيرين إلى أن مشاريع التنمية فيها خطط وزارة التعليم العالي، مع العديد من الجهات، ووزارة التخطيط عملت قبل الابتعاث على بحث ما هي التخصصات والدرجات العلمية المطلوبة، وبناء على هذا حدث الابتعاث، كما أن الجهات المعنية لديها البرامج التي أعدتها لتوظيف هذه الأعداد، التي سوف تعود وستجد الوظائف المناسبة، مؤكداً أن الابتعاث لن يتوقف، ولكن ربما لا يستمر بهذا الحجم، وربما يستمر بحجم أكبر.

وعن وجود خطة وطنية متكاملة لابتعاث وتوظيف السعوديين، ومدى ملاءمتها لاحتياجات سوق العمل، يقول الدكتور عبد الله الموسى، وكيل وزارة التعليم العالي لشؤون الابتعاث: «أدرجت كافة تخصصات الابتعاث بناء على حاجة سوق العمل». مضيفاً أن برنامج التخصصات يحتوي على 19 تخصصاً في 27 دولة، وأن التنسيق مستمر مع القطاع الخاص ممثلاً بالغرف التجارية، ومع وزارتي الخدمة المدنية والعمل، للبحث في الوظائف الشاغرة، ومنها تنطلق تخصصات برنامج الابتعاث من الدرجة الجامعية حتى الدراسات العليا.

ويضرب الموسى مثلاً حياً في هذا المجال بأن إحدى الجامعات السعودية استقطبت ٨٢٥ مبتعثاً عائداً من الخارج دفعة واحدة، مشيراً إلى أن وزارة التعليم العالي تتلقى كل يوم طلبات

من جامعات سعودية في مختلف المناطق، تبدي فيها رغبتها في الحصول على قوائم المبتعثين للتسيق معهم واستقطابهم فور انتهاء دراستهم وعودتهم من البعثة.

وحول ما يقال عن وجود مشكلة (بطالة) تواجه عدداً من المبتعثين والمبتعثات العائدين لأرض الوطن، خاصة من حاملي الماجستير والدكتوراه، قال الموسى: «وزارة التعليم العالي عقدت ورش عمل مع جهات حكومية عدة بينها وزارة العمل، والغرفة التجارية الصناعية، ووزارة التخطيط، وصندوق تنمية الموارد البشرية، لمناقشة الفرص الوظيفية في سوق العمل للأعوام الخمسة المقبلة»، لافتاً إلى أن وزارة التعليم العالي حريصة على أن تتلمس حاجات سوق العمل، فنحو 58 إلى 60% من التخصصات علمية بحتة، والبقية في علوم مطلوبة في السوق، وقال: «لن يمثلوا أي مشكلة في سوق العمل المحلي». مفيداً أن برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي أعاد تهيئة المبتعثين المنتسبين لتخصصات أدبية ليس لها مجال في سوق العمل بالمملكة، من خلال تأهيلهم من جديد للدراسة في تخصصات أخرى يحتاج إليها السوق، مثل الموارد البشرية، والمحاسبة، والتسويق، وغير ذلك، موضحاً أن ذلك بالتسيق مع عدد من الجهات الحكومية لمعرفة ما تتطلبه خطط التنمية في البلاد، وسد النقص في الموارد البشرية بأي مجال تكون ثمة حاجة إليه³⁵.

ولا تجد عضوة سيدات الأعمال العرب وعضوة مجلس الغرف التجارية بجدة، مضايوي الحسون، أن المبتعثين والمبتعثات سيقابلون صعوبة كبيرة في مسألة توظيفهم بعد عودتهم، حيث تتوقع أن يتوفر كثير من عروض الوظائف لمن يتعلم في الخارج وبرواتب عالية، وذلك لامتلاك الطالب المبتعث السلاح الذي يحتاج إليه السوق، والتمثل في اللغة الإنجليزية والتقنية والمعلومات، فمن لديه تلك المهارات فهو مرغوب ومطلوب على مستوى الوظائف، خاصة في ظل السعودية التي ترغب في توظيف السعودي، ولا سيما المبتعث منهم. مشيرة إلى حقيقة وجود البطالة المقنعة، حيث يتوافر كثير من الوظائف في السوق ولكن لا يقابلها الإمكانات المرغوب فيها في شغل تلك الوظائف، لأن جميع خريجي وخريجات التعليم كانوا ضحية لمنهجية التعليم غير المناسبة للسوق، في حين تمكن المبتعث من تملك المهارات والأدوات التي ستساعده على

³⁵ محمد التبيني (وآخرون)، مصدر سابق.

الحصول على وظيفة مناسبة، بما يتناسب مع إمكانياته. مضيئة أن التخصصات التي تعلمها المبتعثون دون تخطيط مسبق لها تعد تكراراً للخطأ القديم، واستمراراً لمنهجية التعليم في المملكة، فلا بد أن يكون الابتعاث في مجالات يحتاج إليها السوق، وفي بنية تحتية جذرية للغة والتقنية والمعلوماتية، وهما مهارتان لا يمكن أن يتعلمهما الطالب في ثلاثة شهور أو ستة، بل لا بد من السنوات الأربع، وهي مدة الدراسة الجامعية، لذلك فإن الذي يعود ولم يتقن الإنجليزية وتقنية المعلومات في الحاسب، فإنه لن يجد الفرصة المناسبة، ففي الواقع جميع الشركات والقطاع الخاص تتبنى الذي يتقن هذه المهارات، حتى إنه أصبح يُبحث عنه، ومن هنا جاءت أهمية البحث عما يحتاج إليه السوق قبل الابتعاث، حيث يعيش الطلاب المبتعثون غربة حقيقية لا بد أن يُحضر لها بالإعداد من الداخل لدى الطلاب قبل ابتعاثهم، فلا بد من إيجاد الدراسة التي تتطرق مما يسمى (الدراسة التحضيرية) داخل المملكة قبل ابتعاثهم، وفيها تجري دراسة كل ما يتعلق بالطلاب، حيث تكون المنهجية ذات تركيز كبير، ولا تتعلق فقط بنوع التخصصات ونوع التعليم المقدم، بل كذلك في أساليب التكيف على المنطقة ذاتها في الخارج، وتعرّف سلوكيات البلد وقوانينها انطلاقاً من حماية أنفسهم ووعيهم بأهمية دور السفارات، واحترام عادات وتقاليد تلك البلد، فجميع تلك الأمور مهمة في إعداد الطلاب المبتعثين قبل ابتعاثهم، مؤكدة دور المناطقية في تحديد الاحتياج من الوظائف؛ ففي جدة تتوافر الوظائف والفرص المتنوعة لا للشباب فقط، بل كذلك للفتاة، في حين أن بعض المناطق تحرّم مثل تلك الفرص على الشباب، فالمجتمعات هي من تفرض الضوابط على الأعمال، فالفتاة المبتعثة قد تجد صعوبة في بعض الأعمال التي تخصصت بها في الخارج، فتعود في منطقتها لتقابلها الضوابط والشروط الصعبة لخروجها للعمل³⁶.

4- الأزمة الكندية وتأثيرها في المبتعثين بكندا

مثّلت الأزمة الكندية-السعودية التي انفجرت إثر انتقادات حقوقية وجّهتها الخارجية الكندية وسفارة كندا في الرياض، يومي 2 و3 أغسطس/آب 2018، بسبب حملة اعتقالات شملت ناشطين وناشطات في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، مثار جدل واسع، ترتب عليه رد

³⁶ برنامج الابتعاث الخارجي.. الرؤية والتحديات، مصدر سابق.

سعودي تمثل في عدة إجراءات عقابية للدولة الكندية، كان أبرزها طرد السفير الكندي، وسحب السفير السعودي، وكان من تداعيات الأزمة كذلك إيقاف التدريب والابتعاث والزمالة إلى كندا، وبحث سبل نقل المبتعثين إلى دول أخرى عن طريق غرفة عمليات في سفارة السعودية في كندا ومقر وزارة الخارجية السعودية.

ويبلغ عدد المبتعثين إلى كندا 12 ألف سعودي، بينهم 7 آلاف طالب وطالبة، والبقية مراقبون أو أفراد أسر المبتعثين، وهو أمر سيؤثر في حياة هؤلاء مباشرة، ولن يكون التأثير محصوراً في الطلاب المبتعثين والمتدربين؛ إذ إن خروج المتدربين والزملاء السعوديين من القطاع الصحي الكندي سيكون له تأثير من الناحية اللوجستية والمادية، بحسب العديد من المنظمات والمؤسسات الطبية في كندا، ويضاف إلى ذلك الرسوم الدراسية التي ستخسرهما الجامعات الكندية من جراء خروج الطلاب السعوديين³⁷.

واجه هؤلاء الطلبة والمبتعثون أزمة كبيرة تمثلت في عدة أبعاد، أهمها: أولاً خضوعهم لعملية انتقال وسيطة بين جامعاتهم الأصلية في كندا وجامعات أخرى في الولايات المتحدة وأوروبا، وهي عملية تستغرق مدة قد لا تكون قصيرة، بسبب تعقد الإجراءات الروتينية الجامعية؛ ثانياً استنزاف وقت المبتعثين في البحث عن مشرفين جدد بدلاً من المشرفين الكنديين، ثالثاً: قد يقابل بعض منهم صعوبة في حال تغيير الدراسة لدولة أخرى دراستها بغير الإنجليزية (ألمانيا مثلاً)، رابعاً: تأجيل مناقشة رسائل ماجستير ودكتوراه لبعض المبتعثين في الجامعات الكندية، التي أوشكت على الانتهاء حتى ترتيب أوضاعهم في جامعات أخرى.

الخلاصة

فور تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن سعود، خطت المملكة خطوة مهمة نحو تعظيم قدراتها، بإرسال أفراد من مواطنيها للدراسة بالخارج، وعُدّت هذه الخطوة التي كانت في منتصف الثلاثينيات بمنزلة النواة الأولى لمشروع الابتعاث السعودي الذي تطور مع الوقت ليصبح من أكبر مشاريع الابتعاث عالمياً، وقد مثلت مصر أول دولة

³⁷ وحدة تحليل السياسات، أزمة العلاقات السعودية-الكندية: دوافعها وتداعياتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، أغسطس/آب 2018، ص 4.

يرسل المبتعثون إليها في عهد الملك عبد العزيز، الذي أسست في عهده أول ملحقية للإشراف على المبتعثين بالخارج، ثم تلا ذلك تطور حركة الابتعاث إلى بعض الدول العربية مثل لبنان، ثم لاحقاً خطت حركة الابتعاث خطوة أبعد بإرسال دفعة من المبتعثين السعوديين إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

اعتمدت المملكة العربية السعودية على شراكتها السياسية والتجارية الكبيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية لابتعاث طلبة سعوديين إلى جامعاتها مبكراً للغاية بعد مرور سنوات قصيرة على تأسيس المملكة العربية السعودية في عصر الملك المؤسس، عبد العزيز آل سعود، وتوسع الابتعاث للجامعات الأمريكية، بحيث صارت الولايات المتحدة هي الدولة الأكثر استيعاباً للمبتعثين السعوديين.

أتاحت الحكومة السعودية فرصة ضخمة للطلبة السعوديين، دون استثناء، للابتعاث والسفر للخارج في كبرى الجامعات الأوروبية والأمريكية، عبر (برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي) الذي يعد البرنامج الأضخم في تاريخ الابتعاث بالمنطقة، وتاريخ الابتعاث التعليمي العالمي بجوار الهند والصين، وفقاً لتوصيف القائمين عليه، حيث تبلغ ميزانيته ما يزيد على عشرة مليارات دولار، وقد بلغت أعداد المبتعثين من خلاله عشرات الآلاف من الطلبة، ومثلهم من المرافقين والمشرفين على الابتعاث ومنظومته. وتتكفل الحكومة السعودية بجميع الرسوم الدراسية والتكاليف المعيشية للطلاب المبتعث، إضافة إلى المرافقين له، بحيث يكون التعامل مع الطالب الذي يأتي مع عائلته بصورة تختلف عن التعامل مع غيره، فضلاً عن التكفل بتأمينه صحياً ومتابعته دراسياً من خلال الملحقية، وصولاً إلى حصوله على الشهادة الجامعية التي يأتي لنيلها.

مثّلت حركة الابتعاث التي بدأها الملك عبد العزيز آل سعود، وطورها خلفاؤه من بعده، مشروعاً هاماً هدف بشكل أساسي إلى تطوير الكوادر السعودية، وتأهيلها بشكل جيد كي تصبح منافسة في السوق العالمي، ودخول مجالات البحث العلمي، وتوفير الخبراء المختصين للمجال الأكاديمي السعودي، ودعم الجامعات السعودية والقطاعين الحكومي والأهلي بالكفاءات المدربة والمخصصة والحاصلة على تعليم كفيٍّ وجيد من أبرز المعاهد والجامعات العالمية.

أثر الابتعاث بشكل كبير في عشرات الآلاف من الأجيال الجديدة السعودية، الذين أتيح لهم فرصة الاحتكاك بمجتمعات أكثر تمدناً وتطوراً، كما ساعد كثيراً في دعم فكرة الانفتاح الثقافي، والتعلم من بيئة تعين على تطوير الفكر النقدي والمنهجي، والتقدير الإيجابي للثقافات الأخرى، ويصحح المفاهيم الخاطئة الناتجة عن الانعزال المجتمعي، والثقافة أحادية الجانب، لكن يهاجم البعض مشروع الابتعاث بذريعة أنه ليس خيراً كله، فهو من وجهة نظرهم أداة للوجاهة الاجتماعية، وفرصة للتحرر الاجتماعي، وسبيل لنشر الأفكار الغربية في المجتمع السعودي.

سار الابتعاث جنباً إلى جنب مع توسع المملكة في علاقاتها الخارجية، وتعاظم دورها الإقليمي والدولي، بحيث أصبح لها مبعثون في دول عديدة شرقاً وغرباً، يدرسون جميع التخصصات العلمية، ليعودوا لاحقاً للمجتمع السعودي للمساهمة في تنميته وتطويره.

لكن تبقى بعض المشاكل التي تواجه المبتعثين السعوديين إلى الخارج، منها مشاكل الاندماج في المجتمع الجديد الذي فيه المبتعث، ومشاكل اللغة، ثم المشاكل التي تواجه المبتعث بعد انتهاء دراسته، وأهمها عدم وجود الوظيفة الملائمة، لكن تحاول الحكومة السعودية بذل الجهد في محاولة منها لاستيعاب هذه الطاقات المهولة في القطاعين الخاص والحكومي، قبل أن تتحول هذه الآلاف إلى كوادر مستنزفة.

المراجع

أولاً: الكتب

- عبد العزيز بن أحمد البداح، الابتعاث تاريخه وآثاره، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الثانية، 2011.
- عبد العزيز بن أحمد البداح، حركة التغريب في السعودية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، 2010.

ثانياً: دراسات وأبحاث

- محمد بن معجب الحامد، فاطمة بنت بكر جمجوم، التعليم العالي للفتاة ومواءمته لسوق العمل في المملكة العربية السعودية، ورقة مقدمة للمؤتمر الإقليمي العربي (نحو فضاء عربي للتعليم العالي التحديات العالمية والمسؤوليات المجتمعية)، القاهرة، 2009.
- وحدة تحليل السياسات، أزمة العلاقات السعودية-الكندية: دوافعها وتداعياتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، أغسطس/آب 2018.

ثالثاً: مواقع ومقالات

- أحمد العرياني، مبتعثون محرومون من الوظائف والسكن، جريدة عكاظ، (تاريخ النشر 14 مارس/ آذار 2014)، تاريخ زيارة الرابط 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2018: <https://www.okaz.com.sa/article/908376>
- أنيس القديحي، أول 5 طلاب سعوديين إلى موسكو بعد حصولهم على منح دراسية من الحكومة الروسية، الشرق الأوسط، (13 سبتمبر/ أيلول 2004)، تاريخ زيارة الرابط 17 أكتوبر/ تشرين الأول 2018: <https://goo.gl/taCNQZ>
- (التعليم): يستطيع المبتعث أن ينتقل لأي دولة من دول الابتعاث، مجلة الاقتصادية، (27 نوفمبر/ تشرين الثاني 2018)، تاريخ زيارة الرابط 20 أغسطس/آب 2018:

<https://goo.gl/JRukRh>

- برنامج الابتعاث الخارجي..الرؤية والتحديات، مجلة المجلة، (2 أكتوبر/تشرين الأول 2012)، تاريخ زيارة الرابط 25 يوليو/تموز 2018: <https://goo.gl/kDQ31G>
- جيمس سميث، صناعة الابتعاث:رفقاً بأبنائكم المبتعثين، العربية نت، (دون تاريخ)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <http://tByoa.us.cutt/>
- سليمان الثنيان، الابتعاث استثمار في العقول مستقبل أمة، جريدة عكاظ، (9 مايو/أيار 2014)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <https://www.okaz.com.sa/article/921616>
- شروق هشام، برنامج الابتعاث في المملكة من أضخم البرامج التعليمية عالمياً، مجلة (هي) الخليجية، (17 أبريل/نيسان 2016)، تاريخ زيارة الرابط 20 أغسطس/آب 2018: <http://ttwx/gd.soo/>
- صالح حماد، الابتعاث إلى أمريكا، مصادر القوة والطاقة البشرية والعقول المبتكرة، الرياض، (15 يونيو/حزيران 2016)، تاريخ زيارة الرابط 10 أغسطس/آب 2018: <http://www.alriyadh.com/1511411>
- عبير البراهيم، (الابتعاث إلى الخارج).. موضة شباب أم بناء مستقبل؟، الرياض، (15 يونيو/حزيران 2011)، تاريخ زيارة الرابط 20 أغسطس/آب 2018: <http://www.alriyadh.com/641831>
- فهد عامر الأحمد، في الابتعاث سبع فوائد، جريدة الرياض، (30 مايو/أيار 2011)، تاريخ زيارة الرابط 25 أغسطس/آب 2018: <http://www.alriyadh.com/636938>
- فهد عريشي، تاريخ الابتعاث السعودي في الصين، جريدة الوطن السعودية،

(27 أبريل/نيسان 2014)، تاريخ زيارة الرابط 21 يوليو 2018: <https://goo.gl/2isw47>

- فيصل الشمري، الابتعاث والتغيرات الشخصية، مجلة المبتعث، العدد 200، تاريخ زيارة الرابط 1 أغسطس/آب 2018: <https://goo.gl/1oZvkw>

- قصة ابتعاث السعوديين إلى أمريكا من الألف إلى الياء، العربية نت، (3 سبتمبر/أيلول 2015)، تاريخ زيارة الرابط 20 يوليو/تموز 2018: <http://soo.gd/NSPr>

- محمد التينيني (وآخرون)، الابتعاث حاجة ملحة أمام توفر كثير من التخصصات، جريدة اليوم السعودية، (7 مارس/آذار 2013)، تاريخ زيارة الرابط 8 سبتمبر/أيلول 2018: <https://goo.gl/nwPsAL>

- محمد عايش، موازنة 2014 تتعش آمال طلبة السعودية وتزيد فرص الابتعاث، العربية نت، (24 ديسمبر/كانون الأول 2013)، تاريخ زيارة الرابط 7 أغسطس/آب 2018: <http://cutt.us/uqpFf>

- ميزانية التعليم، وزارة التعليم السعودية، (دون تاريخ)، تاريخ زيارة الرابط 26 أغسطس/آب 2018: <https://goo.gl/szFdUp>

- محمد الحربي، السعودية.. 6 آلاف مقعد للابتعاث في 17 دولة، العربية نت، (27 يونيو/حزيران 2018)، تاريخ زيارة الرابط 12 أغسطس/آب 2018: <http://cutt.us/UhbAD>



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتمتية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافى.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأسيس العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.

- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.

- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

1. الأبحاث والدراسات:

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص

المركز، وهي:

- الدراسات السياسية.

- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.

- الدراسات الحضارية والتنمية.

- دراسات الفكر الإسلامي.

2. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية

والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية،

بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

3. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

عضوية المركز في المنظمات العالمية:



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

   fikercenter

+90 535 320 46 03
+90 212 7077 79

info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com

